

تفسير أبي السعود

سورة النور 11 شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئه لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفي أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبا ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته إن الذين جاءوا بالإفك أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين Bها وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحابها قالت عائشة Bها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قيل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمتم ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أنني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتممت منزلي وطننت أنني سيفقدونني ويعودون في طلبي فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رأي عرفتني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بالجلباي و وا ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمتم إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكرى فيينا الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاص الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خير إن أي جماعة وهي من العشرة إلى الأربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبي يزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوا شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم A وأبو بكر وعائشة وصفوان Bهم تسلية لهم من أول الأمر والضمير للإفك بل

هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على ا D بإنزال ثمانى عشرة آية
في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم
خيلا لكل امرئ